

زوجة اليوم مطلقة الغد!!

في بعض الدول الأجنبية - وفي طليعتها السويد - يعسر الحصول على شريكة الحياة . . بسبب غياب دور الأسرة في البحث والتنقيب عن الزوج المناسب :

لأن دور الأسرة هناك ينتهي ببلوغ الفتاة والفتى على السواء . . ومن ثم . . يتعثر الفتى في بحثه عن شريكة حياته . .

وقد تطول مدة الاختبار . . بعد ما طالت مدة الاختيار . . إلى درجة المعاشرة الزوجية قبل الاقتران النهائي . . وكان لابد أن تفشل علاقة الزواج . . ثم يكون الطلاق!



والغريب حقاً:

أن يكون الطلاق أسهل في إجراءاته من الزواج هناك؟!

فما على الراغب في الطلاق - زوجاً كان أو زوجة - إلا أن يملأ بطاقة معدة للطلاق . ثم ينتظر ستة شهور يصبح بعدها الطلاق واقعاً . . ويحق للمرأة أن تطلق زوجها تماماً مثلما يمارس الرجل هذا الحق .



سبب الخلل:

وقد يرجع البعض سبب هذا الخلل إلى ضعف التدين . . وقد يكون

السبب هو الرفاهية من وراء زيادة الدخل هناك . .
ويرى بعض الباحثين:

أن الدولة هناك هي السبب . لماذا؟

فالدولة تضمن للمطلق:

أ - إعانة لإطفاله حتى البلوغ .

ب - ثم رعاية صحية لا يتحمل الوالد فيها شيئاً .

ج - هناك نظام كامل لرعاية المسنين . . وأصحاب المعاشات . .

كل هذه المغريات زهدت في الرباط الأسري . ما دام حق الحياة الآمنة مكفولاً .



من آثار هذا الاتجاه:

نشأ الجيل الجديد زاهداً في الأسرة . . التي قد تكون سبب الشقاء . .
لا مصدر الهناء . . وقد يدعم هذا الاحساس . . ما يكون من الآباء الذين
يطردون أبناءهم وبناتهم بعد البلوغ مباشرة . . ليعتمدوا من بعد على
أنفسهم، وأغرب ما في الأمر - كما يقول باحث -

أن يكون الزواج هو الخطوة الأولى نحو الطلاق . . الذي يكون هو
القاعدة . . بينما الزواج هو الاستثناء!



أما في الإسلام:

فإن الله - عز وجل - يأمر الأزواج:

أولاً: بالمعاشرة بالمعروف . .

وثانياً: وفي حال الكراهة . فلا تطلقوهن . فربما كان في الإمساك خير كثير .

يقول عز وجل ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ . [النساء : ١٩] .

والمعنى : لا تتعجلوا الطلاق . . واصبروا عليهن . ذلك بأن الاستجابة للهوى خسران مبين . . فشأن الهوى أنه لا يدعو إلى خير . . وإذا تأملت قوله تعالى «شيئاً» أدركت كيف عمم سبحانه الحكم . . ليشمل كل شئ . . تميمًا للفائدة . .

والنتيجة:

عسى أن تكرهوا شيئاً . . وفيه الخير كله . . فأنتم لا تعلمون العواقب . . ولو أنه تعالى أعلمكم بالعواقب لسكتتم إلى المألوف . . ولنفرتم من كل مكروه . .

من أسباب الطلاق:

أ- قد تكون «الغيرة» هي «الغريم» المختبئ في حنايا النفوس . . مهدداً بالويل والثبور . . وإذن . . فالزوج محتاج إلى الحكمة يعتصم بها فراراً من آثار الغيرة المترتبة :

ولا تعالج الغيرة بالأقراص . . لأنها أقراص «فؤارة» تذوب سريعاً . . ثم تبدو القضية على السطح مرة أخرى :

وقد تكون الصراحة بين الزوجين دواء هذا الداء العنيف . . فقد يكون ما صدر منا . . بلا وعي . . وعفويًا . . وعندئذ فسوف نتلافى في المستقبل

كل ما يؤذي شعور الطرف الطرف الآخر . . وفي الوقت المناسب . . وقبل أن
تصير الحبة . . قبة!

من تجاري:

في مجالس الصلح كنت أسمع كثرة الإدعاء . . وكل يغني على ليلاه .
ثم يطول الكلام . . والملام . . فإذا أنت أمام ركام: أمام كومة من
«القش» تبحث فيها عن «رأس دبوس»؟!
ورأس الدبوس هنا هو:

أن العروس لا تجيد الجلوس أمام «التنور» لانضاج الخبز!!
ومع تفاهة السبب . . لكنه أحياناً يكون تلك القشة التي تقصم ظهر
البعير . . وأحياناً . . نفتعل المشكلات لتكون هي الأطلال التي نتباكى عليها .

●●●

وواجبنا أن نعلم ونرشد: و«كذلك كنتم من قبل» فمن الله عليكم . .
فتعلمتم . .

وواجبكم:

أن تجعلوا من شكر نعمة الله عليكم إن تعلمتم أن تعلموا الجاهل .
وترشدوا الضال .



خاتمة المطاف

•••

غريب

طريح على باب الرجاء

أصر العجوز على الزواج .. حتى ولم يبق فيه إلا رمق من الحياة!
وقلت لأولاده الغضاب .. فيما يشبه العتاب:
دعوه .. يحقق أمنيته .. ولو كانت ليلة واحدة!
قبل أن يستحوذ عليه الشيطان فينسيه مركزه .. وسنّه .. ثم ترثون عار
الأبد!

دعوه .. فالرغبة ملحة غلابة .. وفي قلبه ظمأ إلى الجنس .. ولا بد
من إروائه مهما لقى منكم وعوداً .. أو رعوداً ..
إنه على ما يقول الشاعر:
ظمأ بقلبي .. لا يكاد يسيغه

رشف الزلال .. ولوشربت بحوراً

•••

وفي تعليل ذلك يقول العقاد:

[وأخطر ما يصاب به الشيوخ: هو أنهم أسرع الناس إقبالاً على
الزواج .. لهذا السبب: أي بسبب الإرهاق في التفكير.

ولذلك يستسلمون . . والحقيقة أنهم استسلموا مرة للإرهاق .
ومرة للنشاط العقلي الفائق عند المرأة التي يتقدمون للزواج منها . . فهم
إذن: يستسلمون لضعفهم . . ثم يستسلمون لقوتها .
ثم يقول في تعليل المرأة:

[إن المرأة قد وضع الله في جسمها مكانًا لكائن آخر:

ومن أجل سلامة هذا الكائن الآخر ، خصتها الطبيعة بالقوة . .
ولذلك . . فليس صحيحًا أن المرأة جنس لطيف . بل هي جنس عنيف . . إذ
كيف تقوى على احتمال هذه الآلام الشنيعة عند الولادة . . وفي كل مرة
تحمل المرأة وتلد تقسم ألا تفعل ذلك مرة أخرى . . ثم تلد .]

•••

وقد نضيف إلى ما قاله عملاق الفكر الإسلامي:

إن الرغبة المشتعلة في العُجْز من الشيوخ . هي نوع من التثبيث
بالحياة . . الحياة التي تلملم أشعتها بين يدي الموت . . فإذا بالشيخ يحاول
الرجوع إلى سابق عهده كما كان . . ليستأنف الحياة من جديد . . يستأنفها
في أقوى البراهين عليها وهو: الزواج . . والتناسل . . ثم ومن بعد ذلك . .
فليكن الطوفان!

•••

ولكن العيب أن الرجل لم يحترم سنّه ولا طاقته . . وبدل أن يتزوج
«سميرًا» يناجيه في الليالي الموحشة . . إذا به يتخير فتاة من أحفاده . . وكان
عليه أن يتحمل نتيجة قراره العجول المتعسف!!

•••

وفي التاريخ مواقف .. نسوقها .. تبصرة وذكرى :

يحكى عن رجل هرم أنه كان قد تزوج بفتاة .. ثم زين الحجرة
بالورد .

وجلس معها بالخلوة . وقيد بها عينه وقلبه : لم يكن ينام الليالي
الطوال . وكان يقول المُلح واللطائف . علّها لا تستوحش وتأنس .
ومن جملة هذا . كان يقول لها ذات ليلة :

إن بختك العالي كان مُعينًا ومسعدًا .. وكانت عين إقبالك يقظى : إذ
وقعت في صحبة شيخ ناضج . مُربّي ومجرّب .

وقد ذاق من الدنيا : البارد والحر .. وجرب الحسن والقبيح :

يعرف حق الصحبة .. ويؤدي شرط المودة .. مشفق ودود .. حسن
الطبع . وحلو اللسان .



أستميل قلبك .. وأسترضيك ما استطعتُ وإن تؤذيني .. لا أؤذيكَ !
وإن يكن طعامك السكر .. مثل البيغاء .. فالروحُ الحلوة فداء تربيتك .



إن لم تأت أسيرة في يد شاب :

معجب بنفسه .. فاسد الرأي .. عنيد .. رَوّاغ .. فرّار .. متقلب ..
ينضح على هنيهة هوسًا .. ويقدم كل لحظة رأيًا .. وينام كل ليلة
بمكان .. ويتخذ كل ليلة حبيبة :

قال :

وقلت كلاماً كثيراً على هذا النمط . . وظننت أن قلبها جاء في
قيدي . . وصارت صيدي!



فصعدتُ فجأةً نفساً بارداً . . من قلب مفعم بالألم وقالت :
إن الكلام الكثير الذي قلته . . ليس له في ميزن عقلي وزنُ تلك
الكلمة التي سمعتها مرة من قابليتي حيث قالت :

إذا استقر سهم في جنب المرأة الشابة . . فهو خير من شيخ !!
إن المرأة إذ تقوم من عند زوجها غير راضية . . تقوم الفتنة والحرب
كثيراً في هذا البيت .
والشيخ الذي لا يستطيع القيام من مكانه إلا بعصا . . فالعصا لمن
عصى !

ألا إنها القوة . . وليست الذهب :
لأن «جزرة» واحدة . . أحب إلى المرأة من عشرة أطنان من اللحم !



الشيخ وزوجته الشابة

يقول السعدي الشيرازي:

[سمعت أن شيخًا طاعنا في هذه الأيام . عقد خياله بأنه يتزوج في حال شيخوخته . .

فتزوج بنية حسناء اسمها «جوهرة» وأخفاها عن أعين الناس . . ثم هيئت كما كان رسم العروس . .

ولكن:

وتر القوس . . ولم يصب الهدف!

لأنه لا يمكن خياطة الثوب السميك إلا بالإبرة الفولاذية!

فشرع يشكو إلى الأصدقاء، ثم قال:

هذه الوقحة كنست ثروتي تمامًا.

وقامت الحرب والفتنة بين الزوجين . . بحيث انتهتا إلى الشُّحنة

والقاضي .

قال السعدي:

وبعد الخلاف . . ما ذنب الفتاة؟

أنت الذي ترتعش يدك . . كيف تستطيع أن تثقب الجواهر؟!



وفي الجملة : لم تمكن الموافقة . وانتهى الأمر بالمفارقة . فلما انقضت
العدة . عقدوا نكاحها على شاب :

كالح الوجه . صفر اليدين . سيئ الخلق . فكانت ترى الجور والجفاء .
وتقاسي الألم والعناء . وتشكر نعمة الحق قائلة :

الحمد لله إذ نجوت من ذلك العذاب الأليم . إلى هذا النعيم المقيم !!

•••

ونطق لسان الحال :

إحتراقي في العذاب معك . . خير من ذهابي إلى الجنة مع غيرك !
"صنان البصل" من فم الحسناء . . يجئ أطيب من الورد في يد
الشوهاء .

ومع كل هذا الجور . وحدة الطبع . احتمل ولأنك . . لأنك جميل .

•••

لقد أغمض هؤلاء المتصابون أعينهم فلم يقرؤا الواقع جيداً . .
وكان لهم من سول لهم خوض تجربة فاشلة من الشعراء
الحالمين . . والذين قالوا :

[لا ترج الوفاء من البلابل فإنها تغني كل لحظة على ورده أخرى
الفتيان رشيّقوا الحركة . . ومحبوبون . . ولكنهم لا يقيمون على الوفاء
لأحد . خلاف الشيوخ .

فإنهم يعيشون بالعقل والأدب . . لا على مقتضى جهل الشباب .
أطلب أفضل منك . . وعد ذلك فرصة . . فإنك مع مثلك تضيع
أيامك !

ولا يبقى إلا الندم

هذا الندم الذي عض ذلك العجوز المتصابي والذي يقول:

[لا يكون للأصحاء ألم الجريح .. فلا أشكو ألمي لغير مشارك في الألم .. والحديث عن «الزنبور» بغير طائل مع شخص لم يلسع مرة في عمره . ما لم تكن لك حال مثل حالنا .. فحالنا عندك خرافة ليس أكثر ..

لا تقس ألمي بألم شخص آخر:

هو: الملق على كفه ..

وأنا: الملق على عضوي الجريح!

أنت لا تأتيك رحمة على ألمي

ينبغي أن يكون رفيقي له نفس الألم

لأحكي لك قصتي ليل نهار.

أريد صدرًا ممزقًا من الفراق .. لأشرح له ألم الاشتياق].



وقد كان هناك «شيوخ» عقلاء .. كانوا واقعيين. لا يحبون أن يأخذوا

زمانهم .. وزمان غيرهم من الشباب، ومنهم ذلك الشيخ الذي قيل له:

لم لا تتزوج؟ فقال:

لا ألفة لي بالعجائز ..

قيل له: تزوج شابة. مادامت لك مكنة.

فقال: لا ألفة لي أنا الشيخ بالعجائز. فكيف يمكن لمن تكون له شابة

أن تحبني أنا الشيخ؟!

•••

ومنهم ذلك الشيخ الأبي . . الذي رفض أن يعيش تحت رحمة أنثى
سامته سوء العذاب فقال:

تريدين أن أرضى بك اليوم للهوى ... وأرتاد فيك اللهو بعد التعب؟
وألقاك جسمًا مستباحًا. وطالما
لقيتك جم الخوف. جم التردد
إذا لم يكن بد من الحان والطللى
ففي غير بيت. كان بالأمس معبدي!

•••

ولقد كان في ذلك منطلقًا من قاعدة تقول: [هناك قوتان متناجرتان . .
لم تشغل الميدان قوتان: أكبر منهما:

عقيدة . . وشهوة

نسك . . وفتنة

جسد تمرد من فرط الحرمان . . وروح. تمردت من فرط المتاع
والشهوات. ولقد رزقت فتنة قوية. ولم ترزق عظمة قوية.

فلم يزل عزيزًا لديها أن تنخذل بالفتنة أمام العظمة. ولم يزل من دأبها
أن تجرب هذا السلاح أمام كل سلاح].



صوت الحكمة

فإذا صرت شيخاً .. فأقصر يدك عن التصابي ودع اللعب والظرفة للشبان ..

لا تتطلب من الشيخ طرب الشاب اليافع .. لأن الماء الزاهب .. لا يعود إلى النهر .. إذا حان للزرع وقت الحصاد .. لا يتمايل ولا ينثني . كالخضرة الجديدة!

الجواد العربي يمضي مسرعاً مطلقاً .. والجمل يسير متمهلاً ليل نهار



إن الحب بين الزوجين لن يتنامى .. إذا لم يكن هناك انسجام .. هذا الحب الذي ينبغي أن يمتد: عمقاً .. في القاع . واتساعاً في كل الأصقاع ..



إن الحب إذا لم يتجدد .. تدد، وإذا لم يُضاعف .. ضعُف!



وبضدها تتميز الأشياء



وفي الصورة المقابلة .. ترى نماذج طيبة لرجال أحرار .. تجاوزوا المتعة الصغيرة .. حين نسوا أنفسهم .. ثم كانوا معواناً للشباب على أمر الله تعالى ..

وإذا «يخطف» المتصابي . . هذه الفتاة بماله . . فإن هؤلاء الأحرار . .
كانوا هم الأبرار . . بما نسوا من حظوظ أنفسهم . . وتذكروا حق الشباب
عليهم . . فأسهموا بهمتهم في حل مشكلة الزواج . . .

وحين تجف الموارد . . ويستحيل اللقاء بين الفرقاء . . فإنهم يتدخلون
في اللحظات العصبية . . فاجتمع بهم الشمل . . وتكونت بهم أسر . . على
تقوى من الله ورضوان :

أقسم عمر بن أبي ربيعة أن يتوب فلا ينظم في الغزل بيتاً واحداً . .
ولو قال بيتاً في الغزل . [لأعتق في مقابله عبداً من عبده] .



وذات يوم كان يطوف بالكعبة . . فوجد شاباً وشابة يتناحيان فاقتربا
منهما وقال :

ما شأنكما؟ ! فقال الشاب :

حيبان!!

قال : فلماذا لا تتزوجان؟

قال : أبوها يغالي في مهرها .

فقال : كم يريد؟

قال : مائة دينار .

فقال : قوما بنا إليه .

وقام ثلاثتهم إلى والد الفتاة . وقدم إليه المهر وتزوجها .

لكن عمر عاد إلى بيته فلاحظت زوجته أنه عاد بغير الوجه الذي ذهب

به !

فأنشد ستة أبيات منها:

تقول وليدتي لما رأته	طربت.. وكنت قد أقصرت حيناً
أراك اليوم قد أحدثت شوقاً	وهاج لك الهوى داء دفيناً
وكنت زعمت أنك ذو عزاء	إذا ما شئت فارقت القريناً
بربك: هل أذاك لها رسول	فهاجك. أم لقيت لها خديناً
فقلت: شكا إلى أخ محب	كبعض زماننا إذ تعلمينا
فسقص على ما يلقي بهند	فذكر بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم ولو تعزى	مشوق حين يلقي العاشقينا

•••

ثم أعتق تسعة أعبد.. بكل بيت عبداً!!

قال ابن الجوزي في «أخبار الظرفاء»:

في بغداد.. خرج رجل فقصد يتعرج على الجسر.. فأقبلت امرأة من الجانب الغربي فاستقبالها شاب وقال لها: رحم الله على بن الجهم.

فقالت المرأة: رحم الله أبا العلاء المعري!؟

ومراً.. فقال: فتتبع المرأة. وقلت لها: إن لم تقولي ما قلتما..

فضحكك!

فقالت: قال لي: رحم الله على بن الجهم.. يريد قوله:

عيون المهابين الرصافة والجسر

جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وأردت بترحمي على أبي العلاء.. قوله:

فيادارها بالحزن . . إنَّ مزارها
قريب . . ولكن دون ذلك أهوال!



عندما يكون الزواج تجارة.. وشطارة

هناك نماذج كاذبة خاطئة .. تجعل من الزواج تجارة أو شطارة ..

عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه قال :

[ما خدعني أحد قط .. غير غلام من بني كعب : فقد ذكرت امرأة

منهم فقال الغلام : أيها الأمير لا خير لك فيها ! :

لقد رأيت رجلاً خلا بها .. فقبلها !

يقول المغيرة : ثم بلغني من بعد أنه تزوجها !

فأرسلت إليه فقلت : ألم تخبرني بأنك رأيت رجلاً يقبلها ؟ !

فقال الفتى : بلى :

رأيت أباه يقبلها !!].



وعندما قرأت هذا الموقف .. انقدح في ذهني نهيه ﷺ أن يخطب

الرجل على خطبة أخيه .. مغالاةً بعلاقة الزوجية .. التي ينبغي ألا تكون

سلعة خاضعة لمثل مساومات التجار في الأسواق .



ومع هذا .. فما زال هناك من يحتال .. ثم يغتال هذه العلاقة في

عنفوانها .. حتى يفوز بزوجه سوف تكون وبالاً عليه .. لأن النهاية ثمرة

البداية ..

بل إن هذا الاحتيال قد ينحط إلى درك الخيانة . . ومن ذلك ما وري

...

من أن فتى سأل صديقه :

هل ما زالت الفتاة التي تخطبها ترواغك؟

قال : نعم .

فقال له صديقه : لماذا لم تقل لها : إن عمك غني جداً . . وعسجوز

جداً . . وأنا وارثه الوحيد؟!

فرد عليه صاحبه قائلاً :

يا صديقي : لقد قلت لها ذلك . . فسارعت إلى عمي هذا فعرضت

عليه نفسها . . ثم تزوجته!!

...

ولله في خلقه شؤون!